

تعليمية الكتابة العربية من التشكيل إلى التحويل

أ.د. مكّي درار

جامعة أحمد بن بلة 1-وهران (الجزائر)

ملخص البحث:

الكتابة والخط مفهومان، مترادفان، إلا أن الأول أعم، من حيث مجال العمل والاستعمال. ونحن نريد الحديث عن الخط المسمى عند القدماء رسماً، وهو قرين الضبط والإعجام. ولكن الرسم أقرب إلى مفهوم الخط من غيره، لقربه من عملية التزيين والتلوين.

لقد نشأ الخط العربي رسوماً بصرية، محتفظة بما يتحرك في المحيط العربي، وقد اتخذه العربي في البداية وسيلة للمعرفة، ونقلًا للأفكار، ثم اكتسب قداسة، عند ما سجل به القرآن الكريم، ثم صار فناً تزين به الآثار والمآثر، وانتهى به الأمر إلى الجمع بين المدركات البصرية والسمعية في المصحف المرتل.

لقد كان أول ما حفظ للخط العربي هبته وقدسيتها، تعبيره عن أي القرآن مفرقة، قبل جمعها في المصحف المرتل. وما برز من إشكال، هو جمود الخط العربي شكلاً وتعبيراً عن المسموع كما هو مسموع، ثم استرجاع الصور الفكرية المرسومة إلى كميات صوتية منطوقة. وهل يوجد في تراثنا ما يحمل ملامح التعبير عن الصورة والصوت معاً، وكيف يمكن تطوير ذلك، وتنقيته وترقيته إلى مصاف الخطوط البصرية السمعية العالمية.

لقد انصرف الناس إلى الخط العربي تزييناً وتلويناً وتنويعاً؛ ولكنهم انصرفوا عنه تطويراً وتعبيراً وتوظيفاً، فبات متخلفاً عن التعبير عنه المسموع كما هو مسموع، وظهر في العالم ما يسمى بالكتابة الصوتية، وبقي الخط العربي فاقد الصوت وبلا صوت. وما تسعى إليه هذه المداخل، هو تقديم صورة عن الخط العربي كما كان، وكما هو كائن، وكما ينبغي أن يكون، مع البحث عن الإجراءات العملية للتسهيل والتطوير والتحسين. تلكم هي إشكالية المداخل، في أبعادها وأهدافها ومبتغياتها ومقاصدها الكلية العامة، تبقى تفاصيلها وكيفية تطبيقها وتوظيفها، نعرضها مفصلة لاحقاً بحول الله.

الكتابة: الكتابة منطوق شائع الاستعمال، واسع المجال؛ هي مفردة تطلق على كل من يقوم بتحويل الأفكار من صور ذهنية إلى تشكيلات بصرية، ومن ثمة، فهي عملية شبيهة بفن الرسم، وينقسم مفهوم الكتابة إلى ثلاثة أقسام، مرحلة أولى تسمى الرسم والثانية الضبط والثالثة الخط. وتبقى مفردة الكتابة للجميع وفوق الجميع. ونقف عند كل مرحلة بالتحديد والتوضيح والتوظيف. **الرسم:** سبق القول بأن الكتابة عملية شبيهة بفن الرسم، والرسم عملية تقوم على تحديد الأبعاد، وأساسها الخطوط على مختلف أشكالها. ومن هناك، يمكن القول تقوم الأشكال الكتابية على مراعاة المعطيات الهندسية، بكل ما فيها من نقط وخطوط وزوايا. ومن الجمع بينها وتجميعها كلها، تقوم عملية الكتابة التي يتقدمها مفهوم الرسم. ونظيف إليها مسبقاً مفردة (فني) فنقول الرسم الفني أي القائم على قواعد وقوانين.

ولما كانت الكتابة العربية تتم بعمليتين، الأولى ترسم فيها الحروف، والثانية تضبط، سمي العرب القدماء، وضع الحروف رسماً، وتشكيلها ضبطاً. وتختص عملية الرسم بوضع أشكال للحروف معرأة مجردة. بينما تقوم عملية الضبط بإضافة علامات للحروف المعرأة المجردة، من نقط وحركات ولواحق.

الخط العربي: العرب أمة أمية، أي أنها يقل فيها القراء والكتاب مقارنة بغيرها في وقت ما. وأن العرب كانت الأمية فيهم غالبية ولم تكن مطلقة. وأن العرب كانوا يكتبون ويقرؤون؛ بأدلة ثابتة، منها كتابتهم المعلقات وتعليقها على الكعبة، ومنها ما يرويهِ المؤرخون أنه عندما جاء الإسلام كان في مكة بضعة عشر رجلاً يكتبون. ومنها مراسلات الرسول إلى ملوك الأرض، يدعوهم فيها إلى الإسلام وكان كل كاتب يذكر اسمه في نهاية الرسالة ومن هؤلاء، علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه؛ وهذه الأعمال كلها كانت بالخط العربي الحالي إلى حد بعيد، بدليل ما وصلنا من كتابات عربية لمختلف الرسائل وللمصحف الشريف؛ ولكن ليس ذلك ما هو عليه الخط العربي الحالي بل أصابه تغيير وتبديل ولكن ذلك في الأشكال والأحجام لافي الذوات والأنواع، ومن ذلك ثبات الحروف العربية على عددها منذ نشأتها

تعداد الحروف: نتحدث عن الحروف العربية من حديث مشاهير رجالها عنها، ومن أولئك سيبويه الذي صرح في الكتاب بعدد الحروف وتقسيماتها في قولته المشهورة. (فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً، هي: الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء، والكاف والقاف، والضاد والجيم، والشين، والياء، واللام والنون والراء؛ والطاء والذال والتاء، والصاد والزاي والسين، والظاء

والذال والناء، والفاء والباء والميم والواو. وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع، وأصلها من السعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم. وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين، والصاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالطاء، والطاء التي كالطاء، والطاء التي كالطاء¹"

هذه هي حروف العربية على لسان المختصين بها. أو هذه حروف العربية من واقع العربية، أي من جهة استعمالها وتوظيفها. وقد وصل إحصاؤها إلى اثنين وأربعين، واستقرأؤها إلى ثلاثة وأربعين، والمأمول منها فوق ما سبق. كما تم تصنيفها إلى أصول وفروع، والفروع مستحسنة ومستقبحة. وذلك بالنظر إلى درجات الاعتماد والاستعمال. وما يفيدنا من هذا الحديث في موضوعنا هذا، هو النص الآتي الذي يقول فيه سيبويه: (وهذه الحروف التي تمتها اثنين وأربعين، جيدها ورديتها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة)²" وهنا يظهر أن صاحب النص ينطلق في حديثه من خلفية ذهنية للحروف العربية، يؤسس عليها وقائع موضوعية، فقوله في الفروع لا تتبين إلا بالمشافهة، أي أنها كميات صوتية سمعية، بينما الأصول كميات سمعية بصرية.

وبعد هذا، يبقى تساؤل وهو؛ من السابق المتقدم، المسموع، أم المنظور؟ وسيكون الجواب بتقدم المسموع، لأننا لا نسجل سوى المسموع، وإذا كان الأمر كذلك فإن هذه الفروع ستتحول إلى أصول، أو ستلحق بها، وتحتل أماكنها في سلسلة الكميات السمعية البصرية، بإيجاد صور بصرية لها.

تنويع وتفريع: نقف عند حديث العدد، لأننا نحتاج إليه في ما بعد، وذلك في قول سيبويه (تسعة وعشرون حرفا)، وفي قوله: اثنان وأربعون حرفا، كانت نظرتة واقعية جامعة بين الأصول والفروع، بما جاء عليه في النص، ولكن خلفيتها تطويرية تاريخية، منجبهة، ووصفية معيارية من جهة أخرى. وهنا نعود إلى النص بالاستبطان والاستنطاق.

عندما قال: (فأصل الحروف العربية تسعة وعشرون) أتى بعد ذلك على ذكرها معتمدا أسماءها، وهنا نبه إلى أن للحرف العربي صورتين في التحدث عنه، اسم ونطق، ففي قول سيبويه (الهمزة والألف) هذه أسماء، وكذلك بقية الحروف لكل حرف اسم (الباء، الجيم، الميم) ثم لها كيفيات

نطق، فيقال في الهمزة والألف (ء، ا) ثم (ب، ج، م) حرف واحد، عن كل حرف واحد. والعدد الذي اعتمده سيبويه، يسمى التعداد الهجائي، ومنها أن يذكر كل حرف باسمه.

والعدد الثاني هو ما يسمى الترتيب التعليمي وهو الكيفية التي نعلم بها الحروف العربية، وهي نفس التسمية للحروف مع إضافة حرف (مركب) هو (لا) وسموه (لام الف) ومن هنا سيكون عدد الحروف العربية التعليمية ثلاثين حرف.

وهناك ترتيب ثالث للحروف العربية يسمى الأبجدي، وهو ترتيب مجاله التنظيم الإداري، وفيه يقترن كل حرف برقم، ومن وظائفه تنظيم القوائم وتحويل الحروف إلى أرقام. وفيه تدمج الهمزة مع الألف، ويصبح عدد الحروف من هذا المنظور ثمانية وعشرين حرفاً

تمديد وتجديد: الحرف العربي الذي بين أيدينا مر بمراحل عدة نعرف بعضها، ونجهل أكثرها، إلا بالرواية غير الموثقة، منها الكتابة الصورية، والرمزية، والمقطعية والصوتية والهجائية³، حتى صار الخط العربي إلى ما هو عليه في زماننا، ونعني بزماننا (كأمة) وإلا فذاك زمانهم، وهذه المراحل الكبرى ثلاثة على الأقل، مراحل الخط

مرحلة التجريد: المرحلة الأولى الخط المجرد. ظهر فيها الخط العربي أشكالا هندسية، مجردة من أية علامة تمييزية، وبهذا الخط كتب العرب أشعارهم، وسجلوا بعض مآثرهم، وأهم ما سجله العرب بالخط المجرد، القرآن الكريم في المصحف الشريف. واستمرت هذه الحال قرابة نصف قرن، على ما يستدل به الباحثون موثقاً. وتعد هذه مرحلة أولى التي ظهرت فيها الكتابة العربية لأغراض عربية المرحلة الثانية، بعد أن دخل أقوام من غير العرب في الإسلام، ظهرت مشاكل في فهم هذا الخط ونجم عن ذلك صعوبة في الفهم وسوء في التحليل وانحراف في التأويل، وبات من الواجب على العرب، أن يضبطوا كتاباتهم الموجهة لغيرهم على الأقل. وكان أخطر ما أخاف المتخوفين، هو تحريف معاني القرآن الكريم. وقد يسر الله للقرآن المحفوظ من يقدم خدمة لحفظه والحفاظ عليه.

المصلحون: ظهر رجل عربي مقرئ في منتصف القرن الأول هجري، معروف باعتداله وأمانته، يسمى أبا الأسود الدؤلي، تاريخ ولادته مجهول، وتاريخ وفاته كان حوالي (69هـ)، "وخاطر هذا الرجل بفكرة تزعمها وحده، وتحمل عبأها وحده، وهي إيجاد ضوابط للأداء المصحفي، والعملية معروفة متواترة، محصورة في وصيته لكاتبه في قوله له: (خذ قلماً وصبغاً مغايراً للمصحف، وانظر إلي فإذا رأيتني فتحت فمي بالحرف، ضع نقطة فوقه، وإذا ضمنت شفتي ضع نقطة بين يديه،

وإذا كسرتهما، ضع نقطة تحتها فإذا أتبعته ذاك بشيء من غنة ضع مكان النقطة نقطتين⁴ وفي هذا روايات مختلفات أحلنا عليها لمن أراد التوسع فيها.

المفيد مما تقدم، قول أبي الأسود لكاتبه إذا رأيتني فتت فمي...ضع... وإذا رأيتني ضمنت... وإذا رأيتني كسرت... فهناك تنبيهات متتاليات من أبي الأسود إلى كاتبه، وهي ألا يفعل أي شيء إلا بعد أن يرى بعينه، ومعنى ذلك أنه يسمع أيضا. وخلاصة الفكرة أن طريقة أبي الأسود كانت سمعية بصرية، وهي من أحدث الطرق التعليمية الحديثة.

كما ينبغي التركيز والتحديد لما قام به أبو الأسود، وهي اختصاره على وضع ثلاث علامات فقط، على أواخر المفردات. وهي الكسرة والضمة والفتحة، وكانت كلها في شكل نقط وسموها علامات الإعراب، لأن مفهوم الإعراب يعني التوضيح والتبيين⁵ وذلك ما أراده أبو الأسود من عمله.

من التصنيف والتصنيف: استمر العمل بطريقة أبي الأسود، وتفنن الناس في لون العلامات وأحجامها ومواضعها، ولكن الأمر المخيف ما زال حاضرا، وهو اختلاف الفهم واحتمال التأويل المخل بالأصل. وفي هذه الفترة كان الحجاج ابن يوسف واليا على العراق، ومعلوم أن الحجاج كان معلم صبيان، قبل انضمامه إلى سلك الجندية، وكان شاعرا بخطورة الأمر، فكلف رجلين بأن يدخلوا على الخط العربي تعديلات تسهله للمتعلمين وتقربه منهم. وكان ممن وقع عليهما الاختيار، هما نصر بن عاصم. (ت. 89 هج) ويحيى بن يعمر (ت. 129 هج) ومما قام به الرجلان، هو تصنيف الحروف وتجميعها، بحسب أشكالها في مجموعات متجانسة (ب ت ح، خ رز) والعملية الثانية وهي الأهم أنهما قسما الحروف العربية إلى قسمين مجموع وضعا لها نقط وسموها المعجمة، (ب، ت،) وأخرى تركوها على ما كانت عليه وسموها المهملة (ح، د، ر) وهنا زال معظم المشكل الموجود، مع ظهور مشكل جديد وهو تداخل نقط الإعراب مع نقط الإعجام. ففي مثل (حـر) فهذه المفردة يمكن أن تنطق بعدة تلوينات صوتية منها هذه: بحر، نجر، نجر نجر نجر نجر. هذا في ما قبل الإصلاح، أما بعده فقد تقلص مجال التصور النطقي، وانحصر في توجهات ثلاثة ضم أو كسر أو فتح.

الإصلاح والإلحاق: هذه مرحلة في غاية الأهمية لإصلاح الخط العربي، وقام بها رجل وحيد زمانه في زمانه، هو الخليل بن أحمد الفراهيدي⁶ (175/100 هج) وهو الوحيد ممن تقدموا نعرف تاريخ ولادته، وأعماله كثيرة متفردة منها العروض ومنها إصلاح الخط العربي، ومما قام به الخليل في هذا المجال أنه.

أولاً: عوض نقط الإعراب بحركات من جنس حروف العلة، فجعل في موضع النقطة السفلي ياء صغيرة تحت الحرف المكسور، وفي موضع الضمة، وواو صغيرة فوق الحرف المضموم، وفي موضع الفتحة ألفا صغيرة منبسطة فوق الحرف المفتوح.

ومما نبه عليه أن الخليل وضع حروف صغيرة ولكل حرف انتسابه، لكن المتأخرين، خلطوا واختصروا، فشوهوا بعض العلامات، من ذلك، أن الموجود عندنا اليوم هو علامتان فقط (خط فوق الحرف سموه فتحة وخط مثله تحت الحرف سموه كسرة) ولم يبق لعلاقة الكسرة بالياء ولا للفتحة بالألف علاقة في واقع خطنا الحالي.

وهنا نشير أيضاً إلى أن في الكتابة المصحفية آثاراً قيمة لو رجعنا إليها وتدبرناها، من ذلك أن الراء الممدودة بالكسر تكتب بعد ها ياء صغيرة، والممدودة بالضم، تكتب بعدها واو صغيرة، وتلك هما العلامتان اللتان وضعهما الخليل للضم والكسر.

ثانياً: ينسب إلى الخليل أنه وضع علامات متنوعة لفهم وضعية العلامة، في مختلف مواقعها في التشكيل الإفرادي، وجميع ما أنجزه الخليل ثلاثة وعشرون علامة⁷ لا يمكن عرضها مفصلة هنا.

ومن الملاحظ أن عمل الخليل، لم يتوقف عند الإصلاح وإنما تجاوزه إلى الاختراع؛ من ذلك، أنه وضع للتشديد رأس شين بغير نقط (س) ووضع للسكون دائرة صغيرة، ووضع للهمزة رأس عين، ووضع لألف الوصل أس صاد، ومعه جزء من الدال (صد) فكان جميع ما وضعه الخليل، ثماني علامات (الفتحة، والكسرة، والضمة، والسكون، والشدة، والهمزة، والصلة، والمد)⁸ وهنا توقف عمل الخليل في الإصلاح والاختراع في مجال الخط العربي.

يعد صنيع الخليل أهم إنجاز عربي في الكتابة العربية الإنسانية، ونقول الإنسانية لاعتبارات وخصائص نوعية تأتي إلى ذكرها لاحقاً، وذلك بعد أن نميز بين مبتغيات الكتابة العربية وأنواعها، وعلاقتها بغيرها من الكتابات غير العربية، وبين ما هو الخط اللغوي العالمي الإنساني، وبين ما تصبو الإنسانية إليه وهو تحقيق كتابة صوتية إنسانية.

مرحلة التحسين والتزيين: بعد الذي صنعه الخليل، توسعت المجالات، وتفرقت الجماعات، وشعر الناس وكأن المطلب قد تحقق، وأن الخط العربي استوى على سوقه، وترسخت جذوره، فلا خوف عليه من الزوال، وإنما ينبغي التعامل معه من جهات التحسين والتزيين والتلوين. فتوقف التفكير عن التغيير في جواهره المسماة حروفاً، وانصرفوا إلى ما رأوه أعراضاً، وهي لواحق الحروف، وهي نوعان أيضاً، نوع وظيفته نطقية، وهو ما قام بما الخليل، وآخر تنحصر وظيفته في تنويع الأداء

والإلقاء، وتجميل الإرسال، وكان لهذا الجانب اهتمام قبل ظهور قواعد اللغة، وكانت من أسماؤه التجويد، وقد تخصص لهذه المهمة القراء.

علامات الأداء: هذا العنصر موضعه التوظيفي القراءة، وكان حقه أن يكون فيها، ولكننا قلنا من قبل المكتوب مصنوع للقراءة والكتابة سابقة للقراءة، ونقدمه هنا كصورة من صور الكتابة الصوتية العربية نسميها المصحفية.

خطنا الحالي: ورتنا عن أسلافنا بعضا مما ذكرناه مختصرا موجزا، ووقفنا عند مراحل إصلاح وتحديد، تبين عندها أن القوم كانوا جادين فاعلين، وأن أخطر الأعمال وأهمها تحملها أفراد على مسؤولياتهم، حين لم يكن للجمعيات أثر في تلك الأزمنة. ولنا أن نسائل أنفسنا عما أضفناه وعما غيرناه، أو بعبارة أكثر وضوحا ما هي آثارنا في مسار الخط العربي قديما وحديثا.

يسجل التاريخ أن في تاريخ الأمة العربية ظهر خطاطون بارعون نقلوا الكتابة العربية من مجرد رموز تصورية إلى صور مختلفة متنوعة محاكية لكائنات، تسر الناظرين، وهذا جانب في رائع، رائد. وللعرب أن يعتزوا به. وفي تنوع الخط العربي ظهرت أشكال وتشكيلات تجاوزت العشرة⁹ من عربية وإسلامية ومغربية ومشرقية. ولكن ذلك جميعه لم يجعل الخط العربي وحيدا موحدا، فهناك على الأقل المشرقي والمغربي.

وتحدث المختصون عن الخط المغربي فقالوا: (هناك الخط التونسي، وهو قريب من الخط المشرقي، والخط الجزائري وهو مزوي، أي ذو زوايا، والخط الفاسي ويمتاز باستدارات في حروف النون والياء والواو واللامات والصاد والجيم)¹⁰ وبعد هذا الحديث الواصف عن الخط المغربي أو عن الخطوط المغاربية على الأصح، يعود صاحب النص إلى الحديث بشيء من التفصيل كقوله: (ولكن هذا التصنيف . وبخاصة في الجزائر . ليس حاسما، فلقد كانت قسنطينة متأثرة بالخط التونسي، مع الحفاظ على الشبه القيرواني، وفي الجزائر العاصمة استعمل الخط الأندلسي أحيانا لانحدار بعض أهلها من أصل أندلسي، وفي وهران يقترب الخط من الشكل المغربي الفاسي)¹¹ وقد تأثر الفاسي بالأندلسي على ما قدمناه مما يجعل معالم الخط المغربي متشابكا متداخلا.

ماذا نعلم من الكتابة وكيف: لعلنا الآن فقط، وقفنا عند المبتغى من هذه الدراسة بجد ودقة. وهو كيف، وعن الكيفية سأل الخليل ربه، بقوله: (أرني كيف تحيي الموتى)¹² والتعليمية تؤكد على أنها البحث عن كيفية الكيفيات، ومن ثم سموها إجراءات لمجريات، ولما كان السؤال ذي شقين (ماذا وكيف) فسيكون الجواب كذلك، فالجواب عن ماذا هو تعليم ثلاثة قضايا؛ أولها الأساسيات المسماة جواهر، وهي الحروف. وثانيها الفرعيات، المسماة أعراضا، وهي

الحركات "13". وثالثها التلوينات المسماة أشكالاً أو علامات ترقيم، وهي أنواع. والمهم في مادة تعليمية الكتابة هو الحرف. وهو مفهوم عام، وقفنا عنده من قبل، فلا حاجة إلى العودة إليه؛ والموقوف عنده هنا هو كيف؟

الحرف العربي شكل ومحتوى، والشكل مرتبط بالعدد والمرتبة، وعدد الحروف العربية الأصول، ثلاثة وثلاثون، وتسعة وعشرون، وثمانية وعشرون؛ والفروع سوى هذه؛ وقد فصلنا القول في الجميع من قبل. ونعود بالسؤال كيف؟

إذا كان العدد الأقصى للحروف الأصول والفروع ثلاثة وأربعين والأصول ثلاثين، فإن ما يجب العناية به ومراعاته في التعليم هو نصف هذا العدد أي خمسة عشر حرفاً، المسومة في الجدول الآتي:

الشكل الأساسي	ب	ط	ك	م	ص	ع	ف	س	هـ	و	15
الشكل المكرور	ت	ظ	ل	ض	غ	ق	ش				9
	ث				ء						3
	يد										1
	ند										1
	??										??
المجموع	6	2	2	1	2	3	2	2	1	1	30
الرتب	1	4	5	5	4	2	4	4	5	5	

مع الجدول: في هذا الجدول خمس عشرة خانة أفقية وست خانات رأسية، الممتلئ من الأفقية كله، ومن الرأسية واحدة، والبقية دونها، ورتبها من واحد إلى ست، وهذه الرتب والمراتب هي ذات قيمة في العملية التعليمية ومنهن نجيب عن الشق الثاني من السؤال الأول وهو كيف نعلم. الجواب أننا نبتغي تعليم أشكال بصرية، ذات أبعاد ومقادير حسابية، وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فينبغي أن نفصل المتماثلات عن بعضها، ونعلم شكلاً واحداً والبقية يقاس عليه. ففي العمود الراسي الثاني الذي على رأسه (ب) هذه مجموعة صوتية متماثلة الأشكال والمقادير، لماذا نضعها جميعها أمام المتعلم، ليختار في عددها، هذا تخويف وتشثيت للجهد الفكري. هنا نضع أمام المتعلم خطاً أفقياً هكذا (.) ثم نتعامل مع هذا الخط من جميع جهاته طوله، سمكه، انحناءه، مواطن شدته، ليونته، ثم نقول للمتعلم، إن لهذا الحرف أسماء تختلف باختلاف ما يلحق به من نقط.

وهنا نأتي بالنقط ونوزعها على أشكال متساوية من المقادير الأفقية، ونسميها فنقول: إذا كانت النقطة تحت الحرف فهو (باء) وفوقه هو (نون) ومثناة من فوقه (تاء) ومثناة من تحته (ياء) ومثلثة من فوقه هو (ثاء) ومن تحته فاء فارسية (p) وهكذا نعمل بالبقية ويلمسة واحدة نكون قدمنا كل الحروف العربية في مجموعات متجانسة منها أشكال أصلية بالجسم ومنها أشكال فرعية بالنوع. وقد انتهى كل شيء، ويبقى جانب آخر من الحروف وهو أشكالها.

أشكال الحرف العربي: رأينا في النص السابق حديثا عن توصيفات للخطوط الكبرى، للخط العربي بعامه، والمغربي بخاصة؛ ثم وقف بنا صاحب النص عند تنوعات في الخط الجزائري، شرقا وغربا ووسطا. ونحن هنا نقف عند الحديث الوسط وهو العربي، والمهم فيه هو تحديد أشكاله ومقاديرها. وأهم ذلك هو يمكن حصر أشكال الحرف العربي في ستة وهي.

الشكل القائم المستقيم (ا. ل.)

الشكل الأفقي الممتد (الباء ومثيلاتها)

الشكل الأفقي المغلق الطاء، الصاد، الميم، هـ

الشكل الأفقي المفتوح: د، ذ، ك

الشكل الأفقي المنجلي (ج، ع)

الشكل الكؤوسي (ص، س، ق)

الشكل المائل (ر، ز، و)

هذه هي أهم الأشكال والتشكيلات للحروف العربي، وقد حصرها المختصون في حوالي سبعة، هي التي ذكرناها، ويبقى لها تصنيف آخر، هو مقاديرها في مواقعها، استعلاء واستغلا وتمادا. ومجموعها حوالي ثلاث حالات كبرى، مع تنوع داخلي فني تحسيني يخضع لشخصية الخطاط.

الخط في أصله نقش بألة حادة في جسم صلب، ومن ثم سموه (حرف) وهو نبش فني خاص، في مقابل (حفر) الذي هو بش مطلق عام. والمنبوش فيه هو جسم صلب من حديد، أو نحاس، أو حجر، أو طين، أو جلد، أو ورق. وغيرها مما يمكنه من ظهور أثر اللمس عليه. وقد اشتهر من بين الجميع الورق، وهو أنواع أيضا، وما يحتاج إليه الخطاط، قبل البدء في الكتابة عملية تسمى إعداد الورق، ويعرف في أيامنا (إعداد الصفحة) وتصور صفحة مهياة ثم كيف نضع الحروف في مواضعها منها:

إيضاحات:

- الخط الذي فوق رقم واحد سميك
 - ما بين أربعة وخمسة رقيق
 - ما بين خمسة وتسعة رقيق
 - الآن نضع الحروف في مواضعها ونقول لكل حرف أربع تحركات متوقعة، يعلو أو ينخفض أو يتمدد وقد يجمع بينها.
 - وهنا نقول كل حرف يعلو فوق خط المسار، له أن يحتل مسارا واحدا لأصله، ومسارا واحدا للواحقه، على الأكثر، فكل من (الطاء والظاء) تأخذ خطأ لاستدارتها ومسارا لإشالتها.
 - الحروف المحلية (ح، غ) تأخذ مسارا في الأعلى ومسارا في الأسفل.
 - الحروف المستقلة (ر، ز) تأخذ مسارا سفليا فقط
- ومن بعد هذا نقول: إذا كانت الخطوط الرقيقة ثلاثة فوق الخط السميك، وثلاثة تحته، فكل من استعلى يبقى من فوقه خطان رقيقان وكل من استفل يبقى من تحته خطان رقيقان؛ ومن ثمة لا يلتقي المستعلي بمن استفل من فوقه، ولا يتصل المستفل بمن استعلى من تحته. ويبقى بين الجميع مسار فارغ لوضع علامات الإعراب؛ ومن هنا لا يحدث تداخل ولا خلط بين الحروف المستعلية والمستقلة.
- ضوابط الحرف العربي:** الضبط هو إتمام العملية الكتابة، ونطقها يدل على وظيفتها، فهي ضبط أي تنظيم وتعقيد وتعقيد، والضبط يعني كل ما يضاف إلى الحرف بعد رسمه بشكله، والضبط تابع للمضبوط في كل حالاته، وإذا كان الرسم معلوما محدودا في عدد عناصره وأشكالها فإن الضبط غير ذلك.
- الضبط ثلاث مسارات، هي: نقط إعجام، وعلامات إعراب، وتلوينات إتمام وترقيم؛ ولها مراتب ومراعاة عند وضعها، أساسها نقط الإعجام إذ لا غنى لأحد عنها، وهي نقطة، أو نقطتان، أو ثلاث، توضع فوق الحرف، أو تحته، ومواقعها في بدايات الحروف غالبا.
- ثم علامات الإعراب، وهي حركة وسكون، توضع فوق الحرف بداية ووسطا ومنتها، وشكلها وحجمها غير محدد، فالغالب على ما وصفها به القدماء أنها جميعها مماله، أما ما هي عليه في كتابتنا، وما هي عليه في آلتنا فهي أفقية ممتدة مستقيمة. والحركة نوعان: قصيرة وطويلة؛ والأخيرة، لا تكون إلا على آخر الحرف، هكذا: ل و ي، وتبقى مختلف الإضافات هي ما قدمناها من قبل، ومواضعها مختلف فيها بين الكتاب والخطاطين، واللافت للانتباه، أن ما عدا علامات الإعجام، أكثرها مهمل مستغنى عنه. ومن ثمة، نجم خلط وسوء فهم في الكتابة العربية،

وذلك ما أوضحناه في حديث القراءة. وتبقى علامات وظيفية مهمة مفيدة تسمى علامات التقييم.

عقبات الكتابة: عند الحديث عن التعليم نقدم القراءة على الكتابة كمطلوب، وعند الممارسة كذلك، ولكن التتبع والحرص للمصاعب والمتاعب يظهر أن الكتابة أصعب في التعلم من القراءة، ثم إن في الكتابة جوانب أصعب من أختها، فالضبط أصعب من الرسم، إي ضبط الحروف أصعب من كتابة الحروف. ولنسق لذلك مثالا من الكتابة العربية يظهر فيها ما ذهبنا إليه.

لنفترض أننا في قسم تعليمي، تلاميذه قليلون، ومعلمهم خبير مقتدر. ونحن معه في حصة الكتابة التقعيدية وهو ما يعرف (إملاء) لأن في هذه الحصة لا تراعى جماليات الخط وإنما صحته فقط، وقد راح المعلم يملئ على تلاميذه هذه الآية الكريمة. (فكانت هباء منبثا)¹⁴ ولنلاحظ مراحل كتابة حرف واحد منها.

الحرف الأخير من مفردة هذه الآية هو (الثاء) والتلميذ يكتب بالقلم، وهو يرفع قلمه عن الورقة أحيانا مختارا، وأحيانا مجبرا. ولنقف عند كتابة الحرف الأخير (الثاء) برفع القلم مجبرا. ونحصى كم مرة يرفع المتعلم قلمه عن الحرف ليعود إليه.

أولا: يكتب المتعلم الثاء متصلة بالألف دون أن يرفع يده، وهنا تمت كتابة الحرف كاملا ويمكن أن يقف العمل عنده، وهذا رسم الحرف. دون ضبطه؛ ويقرؤه المتعلمون على اختلاف وجهات الأداء. وهذا كله ينجزي مرحلة واحدة، والآن تعال معي لنراقب كم مرحلة يتم فيها ضبط هذا الحرف. (ثأ)

أولا: نكتب النقطة الأولى للثاء ونرفع القلم

ثانيا: نكتب النقطة الثانية للثاء ونرفع القلم

ثالثا: نكتب النقطة الثالثة للثاء. وهنا نكون قد انتهينا من عملية الإعجام وفيها ثلاث مراحل.

رابعا: نضع الشدة فوق الثاء ونرفع القلم

خامسا: نضع علامة الإعراب، وهي الفتحة الأولى فوق الألف، ونرفع القلم

سادسا: نضع علامة التنوين وهي فتحة لاحقة لسابقتها ومن جنسها، ولكن قبل وضعها علينا أن نتحقق أهي بعدها أم فوقها، يعني هل التنوين هنا متتابع أم تراكب. والجواب أنه متتابع لأن بعد هذا التنوين لا يوجد حرف حلقي؛ وهنا نرفع القلم ثمائيا وقد كتبنا (ثأ)

والآن، وكما يقال، لا حاجة إلى تعليق أو تعقيب، وقد تحقق عمليا وواقعا، أن الحرف كله بحجمه وجسمه كتبناه في جرة قلم واحدة. ولكن لواحقه، احتاجت إلى ست مراحل. والمجموع

أنا نحتاج إلى سبع عمليات كاملة منفصلة عن بعضها، لكتابة حروف واحد، وهنا نقول: أين مبدأ الاقتصاد اللغوي وما هي مسالكة المؤدية إليه.

وملاحظة أخرى ننبه عليها، وهي مبدأ الاقتصاد المبتغى من كل عملية لسانية، ولنعد إلى المفردة الأخيرة (بتاً) التي اتخذناها مثالا ومثلها كثير، وفيه نقول: مجموع صوامت المفردة المرسومة في اتصال دون توقف، ولا رفع للقلم عن موضعه هي ثلاثة (بتا) وعند كتابة هذه الصوامت يحصل المعنى الداخلي الرئيس لهذه المفردة.

أزمة الكتابة: عندما نتحدث عن الكتابة نضع نصب أعيننا شيئين، أولها وضوح الخط، وثانيهما سرعة الانتهاء من الكتابة، ومن هنا يكون أماننا محاولة التغلب على عقبتين؛ بناء وتحميل، وعملية التحميل تأخذ أكثر وقت وأكثر كلفة في كل صناعة وإنتاج والخط صنف من ذلك. ولكن الأمر لا ينتهي عند (الرسم) بل يحتاج إلى ضوابط ينتهي عندها مفهوم المنطوق والمرسوم. وهي هنا علامات إعجام وعددها أربعة، وعلامات إعراب وهي كذلك؛ وهي:

- نقطة الباء

- نقطة الثاء الأولى

- نقطة الثاء الثانية

- نقطة الثاء الثالثة

وهنا نقول لكتابة المفردة كاملة بصوامتها نحتاج إلى تحريكة واحدة ممتدة فوق السطر، بحيث نطلق من صامت التاء متبوع بالثاء متوقفين عند الألف. والمجموع حركة واحدة ممتدة لها أسنان عليا تشبه السين. أما عند الضبط فنمر بالمراحل الآتية:

- فتحة الباء

- شدة الثاء

- فتحة الإعراب

- فتحة التنوين

رأينا أن كتابة المفردة ترسم حروفها متتابعة العناصر، متصلة ببعضها. وقد تم ذلك بجرة قلم كما يقال. وعند إعجامها احتجنا إلى سبع وقفات وتوقفات، لنهني وضع علامات الضبط، وسيكون زمن الضبط يفوق زمن الرسم بما يقارب النصف. أو نقول زمن الرسم مضاف إليه زمن الضبط يساوي زمن كتابة المفرد. أو نقول كتابة المفردة العربية تحتاج إلى ثلاث مراحل، الأولى رسم

الصوامت، والثانية كتابة علامات الإعجام، والثالثة لعلامات الإعراب على اختلاف وتفاوت بين علامتي الإعجام والإعراب، في العدد، ثم علامات الترقيم.

أشكال وتكاليف: تقدم الحديث عن الخط العربي بشقيه الرسم والضبط، مع ما يلاقيه الخطاط من صعاب وعقبات في إنجاز الحرف الواحد، برسمه وضبطه، وما تلك العقبات التي أوردناها إلا وجهها من وجهي تكاليف الخط العربي، ولئن كان شقاه المتقدمان رسماً وضبطاً فكلتاها عضلية مادية، ولكن هناك كلفة أخرى فكرية نقف عندها في إنجاز.

عندما يتهيأ الكاتب، لرسم تشكيلة صوتية فردية أو تركيبية، فإنه يعد لها عدتها، مما يحتاجه إلى إنجاز ذلك، والإعداد نوعان: مادي، يتمثل في القلم والمداد والورق، والكل منها أنواع وأصناف يختار منها الكاتب ما يحتاجه في ذلك الموضوع. ويبقى إعداد ذهني فكري، وهو نوعان أيضاً، إعداد قبل الشروع في الكتابة، وهو تصور كلي كامل للتشكيلة المرسومة المضبوطة، بكل مقاديرها ومقاييسها وكميات الجهد المبذولة فيها¹⁵ وهو إعداد أولي.

الإعداد الذهني: الإنسان كائن غريب بطبعه وطبائعه، يتميز بثلاث خصائص عن غيره من المخلوقات، وذلك أنه كائن (مفكر، مدبر، معبر) هذه الخصائص الثلاثة هي إنسانية الإنسان. وكمثال عملي على ذلك، إذا سمعنا إنساناً قال (كتبت) وسكت، فإن هذه المفردة مرت بثماني مراحل حتى أصبحت قابلة للإرسال، وإلى ست مراحل حتى صارت قابلة للاستماع ففي مفردة (كتبت) يقوم الذهن بالعمليات الآتية

1. يتصور ذهن الناطق المفردة كاملة بما تحتاج إليه من إعداد فيزيولوجي ونفسي، وإن لاحظ الذهن عجزاً فيزيولوجياً نبه عليه ومل على تبديل كميات التصويت أو تعديلها، أو تأجيل عملية التصويت بها، أو إلغائها، وإذا رأى الفكر أعضاء جهاز الإرسال صالحة، يقوم بالعمليات التالية.

2. يأمر الذهن الرثة بتجميع القدر الكامل من النفس الواجب ضحكه في نطق مفردة (كتب) كاملة. ومعنى هذا أن فكر الناطق المرسل، يستحضر صورة التشكيلة المراد نطقها كاملة قبل إرسالها.

3. قوم الذهن بترتيب عناصر التشكيل كل في موضعه، وإلا حدث تلثم في نطق المفردة أو تبديل في عناصرها، مما يعرض الناطق للسخرية والاستهزاء.

4- يوزع الذهن كميات النفس المعدة للمفردة على عناصرها بحسب ذواتها، ومراتبها في السلسلة الكلامية. ففي قولنا (كتبت) توجد تاءان، واحدة في وسط الكلمة وأخرى في نهايتها،

ومعنى هذا أن الكميات النفسية التي تحتاجه كل تاء يختلف عن الأخرى تبعاً لاختلاف المواقع وما يترتب عن ضغط في كل موقع.

5. يأمر الرئة بدفع كمية الكاف، منعزلة عن غيرها، ومتبوعة بغيرها، في القصبة الهوائية، وهكذا يفعل مع بقية عناصر المفردة.

6. يأمر الذهن القصبة الهوائية بالانغلاق لإيقاف الهواء وتجميعه دون موضع الوترين الصوتيين.

7. يأمر الذهن الحنجرة بالانفتاح، ويأمر الرئة بالضغط، فيحرك النفس الوترين، ويتحول بعامل الاهتزاز إلى صوت

8. يأمر الذهن كل كمية صوتية بأن تذهب إلى موضعها المعد لها في الجهاز النطقي، وهي ثلاثة هنا؛ الكاف في اللهاة، والتاء في النطق، والباء في الشفتين، كما يأمرها بأن يأخذ كل صامت مع صائته الكمية الصوتية في موقع النشأة، لتمييز بها عن غيره من جهر أو همس، وكمية أخرى لتمييز به عن غيره في موضع نطقه وهي الشدة، أو الرخاوة، أو التوسط.

وإذا كان كل صوت منطوق يمر بشماني مراحل قبل إرساله فإن مفردة (كتب) تحتاج إلى أربع وعشرين حركة ذهنية لتشكيل على ما هي عليه قبل إرسالها،

والملاحظ هنا . ونحن في موضوع الكتابة . أن نطق الحرف الواحد، يحتاج إلى سبع عمليات ومراحل، كبرى يقوم بها الفكر لإرسال صامت واحد ساكن غير متحرك إلى موضعه. وإنشاء الصوت ليس إرساله وإرساله قد يتحقق وقد لا يتحقق.

والذي نفق عنده من كل هذا، أن في إنشاء الحرف وتشكيله قبل النطق أو معه، فيه عمليات ذهنية، وقبل تحوله من كمية منطوقة إلى صورة مرسومة، يقوم الذهن بالعمليات نفسها التي يقوم بها عند التشكيل، ولنعد إلى مفرد (بئاً) التي اتخذناها مثلاً من قبل. وعندما يكتب الكاتب حرف الكاف يكون مر بخمس مراحل وهي:

. استحضار صورة الحرف على الورقة، مع تقدير أبعادها، وهل حركتها تكتب الآن أم بعد الانتهاء،

. فتحة الكاف كم هي في الطول وفي السمك وأين موضعها من الكاف.

. حرف التاء، كم حجمه، وكم طوله، وكم سمكه، وللتاء علامة إعجام وعلامة إعراب

. أين موضع علامة الإعجام من التاء، وكم هو سمك نقطه . وأين موضعها من الكاف، وكيف تكون النقطتان متساويتين في الحجم،

. وما العمل حتى تكون النقطتان متكافئتان متساويتين في الموقعية والمسافة.

ومن هذه النظرة نتصور ما يلاقيه الكاتب من صعاب ومشقة في رسم الحرف منفردا منعزلا، ثم جعله متلائما متلاحما متكافئا مع غره، إنها ثماني عمليات قبل تشكيل الحرف وخمسة عند تشكيله والجميع ثلاث عشرة مرحلة لكتابة الحرف الواحد.

بين التسمية والتشكيلة: وقفنا من قبل عند عدد الحروف العربية انطلاقا من حساب سيوييه، وأما قسمان قسم منطوق ومكتوب سماه أصولا، وقسم منطوق غير مكتوب، وسماه فروعا. ثم رسمنا للحروف العربية جدولا حصرنا فيها أشكالها وامتدادها علوا وسفليا، وبقيت تقديرات تفصيلية تأتي إلى الحديث عنها، وتسمى المقاييس والمقادير.

المقاييس: مقاييس الحروف ومقاديرها تنبه إليها العرب القدماء نطقا ورسمًا وعبروا عنها وصفا، وذلك لانعدام آلات القياس والتقدير في زمانهم، ولكنهم بالوصف قربوا المفاهيم وحافظوا على معظم المقادير والمقاييس ولنقف عند أبي عمر الداني في كتابه المحكم في نقط المصاحف ولنقف عند ثلاثة حروف من حروف العربية هي الواو، والألف، ولام ألف.

قال الداني (اعلم أن الواوات عندهم اثنا عشرة واو) "16" ثم جاء بها كلا على شاكلته، ومرد التنوع إلى مراعاة الحرف مرسوما مضبوطا. ومن هنا جاء التعداد وكمثال على ذلك (الواو) إذا كان مهموزا منونا فسنجد معه ثلاث نقط واحدة للهمزة ونقطتان للتونين.

ويتنوع شكل الواو بتنوع مواقع النقط معها، فقد تكون العلامة قبله، فوّه، أو تحته، أو بين يديه، وقد تكون واحدة أو اثنين أو ثلاثة حتى يبلغ العدد اثني عشرة صورة.

ثم قال: (واعلم أن الألفات عندهم أيضا خمس عشرة ألفا، ولكل ألف مع الهمزة والتونين والمد والقصر حكم اتفقوا عليه) "17" وهنا تظهر بوادر الكتابة الصوتية العربية غير مسماة باسمها. وسنقف عنها مطولا في موضعها.

تطبيقات عملية في الكتابة العربية: الخط العربي بعاملته، ينتمي إلى فن الرسم، بجميع أبعاده أيضا، من خطوط وزوايا ودوائر، فمن مجموع المعطيات الهندسية يتشكل الخط، وللخط معطيات ومنطلقات عديدة ومختلفة أشهرها ثلاثة وهي: الاستعداد للكتابة، ويتمثل في نوعية الجلوس عند الكتابة، ومنها الأداة الأساسية وهي القلم، ومنها مقادير الرسوم المعتمدة، امتدادا وعلوا واستغالا.

جلسة الكاتب: الحديث عن الكتابة هنا، هو حديث تعليمي موجه، أي نتحدث عنه عندما يكون مبرجحا داخل مجموعة تربوية لها أساسياتها التي قلنا فيها هي المعلم والمتعلم والمادة والزمن والكيفية، وهذه هي معطيات الكتابة ومنطلقاتها الرئيسية.

والمراعى في الجلسة ثلاثة أشياء؛ الأول استقامة العمود الفقري أفقيا، لا مائلا جهة اليمين ولا جهة اليسار، والثانية غير محدودب في شكل منجلي. والثالثة مراعاة بعد البصر عن موضع الكتابة. وفي حال عدم تطبيق هذه الأساسيات، يحدث انحراف في الكتابة عند المتعلم. ونرى أن نقدم تمثيلا لكل ما يحدث عند عدم تطبيق هذه الأساسيات.

العربية يغلب عليها طابع الخطوط والزوايا. والكاتب إذا كنت جلسته مائلة جهة اليمين أو اليسار فستكون جميع الألفات ورؤوس الطاءات والظاءات مائلة في الاتجاه التي كان يميل إليه. ففي كتابة اسم الجلالة مثلا: نقول إذا كان عموده الفقري مائلا جهة اليمين، وأراد أن يكتب عبارة الحمد لله فستكون هكذا. (الحمد لله) جميع الحروف التي كتبها مائلة جهة اليمين، وإذا كان عموده الفقري مائلا جهة اليسار فسيكون عكس ما كانت عليه العبارة الأولى.

هذه حال وضعية العمود الفقري، أما الحالة الثالثة التي هي مراعاة المسافة الفاصلة بين عين الكاتب وموضوع الكتابة، فيجب أن يتعود كل كاتب متعلم أو متمرس أن تكون المسافة بينه وبين موضع الكتابة. التي هي الورقة مثلا. ثابتة، ونحن نرى بعض الكتابين يركون رؤوسهم وهم يكتبون يقتربون من موضع الكتابة مرة وبيتعدون مرة والنتاج عن هذه الوضعية.

عندما يقترب الكاتب من موضع الكتابة، يكبر الرسوم في عينه، ويرسمها على ما يقدرها له بصره فتظهر عنده كبيرة ولكنها عند غيره تظهر صغيرة، وعكسها عكس ذلك، فإذا كانت عين الكاتب بعيدة عن موضع الكتابة، ظهرت له الحروف صغيرة فكبرها لتكون ملائمة لبصره في نظره. فهي عنده مقبولة معقولة، ولكنها عن غيره هي أكبر مما ينبغي أن تكون عليه. وسيظهر هذا عمليا عندما نقدم رسما لورقة الكتابة. وهناك من يتحرك حركات مختلفة تنجم عنها تشكيلات متنوعة أيضا.

تحركات الكاتب: ما قدمناه، هو ناتج عن وضعية ألفتها الكاتب، وهناك حالة أخطر مما سبق وهي تحركات الكاتب وتململاته يمينا ويسار تقريبا من الورقة وابتعادا في الوقت ذاته. ولنعد للعبارة التي قدمناها نعيدها مع تحركات الكاتب.

فإذا شرع الكاتب في رسم عبارة (الحمد لله) مبتدئا بالألف، ومال جهة اليمين، ظهر الألف مائلا في هذا الاتجاه. ثم كتب الألف وتوقف ونظر إليه عن قرب، ثم شرع في كتابة اللام الحمد،

مائلًا جهة اليسار ومبتعدًا عن الورقة فيسكون اللام مائلًا جهة اليسار تبعًا لوضعية عموده الفقري، وأكبر من الألف، لأنه ابتعد عن الورقة، فكتب أكبر من الألف لبعده عنها، وهكذا. ولنحمل تلك الأخطاء في هذه العبارة، ففي كتابة (الحمد لله) نصف المتحرك كما رأيناه، فهو يقترب من الورقة، ويميل جهة اليمين، فتكون الألف كبيرة لقربه من الورقة، هكذا (الحمد) ومائلة جهة اليمين.

ثم يتوقف الكاتب عن الكتابة، ويتأمل في ما كتبه لحظة، ثم يميل برأسه جهة اليسار، ويتعد ببصره عن الورقة، فيكتب اللام كبيرة تبعًا لرؤيته للورقة ومائلة جهة اليسار هكذا (الله) وذلك تبعًا لميل عموده الفقري في ذلك الاتجاه، وهكذا. والنتيجة هي حروف شبيهة بأغصان شجيرة، متجهة في جميع الاتجاهات.

وهذا جميعه ناتج عن عدم ثبات الكاتب في جلسته. صغيرا كان أو كبيرا متمرسا أو مبتدئا وهذا ما تجب مراعاته في جلسة المتعلم في حصة الكتابة. وإن كان هذا ناتج عن وضعيات الجلوس، فهناك شيء آخر يجب أن يراعى وهو آلة الكتابة
أسماء لمسميات: للكتابة عدة أسماء، ترتبط بوسائلها مرة، وبأنواعها مرد أخرى، ومن ذاك مفردة قلم التي تطلق فيما تطلق عليه، نوعية الكتابة فيقال قلم عربي وهندي ولاتيني، وهذا مجاز، كما تطلق على أشكال الكتابة في اللغة الواحدة فيقال قلم رقعة وقلم نسخ، ولكن ما نريده هنا هو الحقيقة وليس المجاز.

لكل حرف من حروف الأمم ما يناسبه لتحقيق جماله، وللعربية القلم المأخوذ من (القصبية الحرة) أو ما يسد مسدها عند الخطاطين. وهذا في الكتابات بخاصة. وتذكر أننا عندما كنا نتعلم ونحن صرنا معلمين، كان للمتعلم قلمان. قلم للعربية وقلم للفرنسية، وقلم العربية مصفح مدبب الرأس. وقلم الفرنسية غير ذلك

وحصول المشكلة أن الخط العربي يتحرك في جميع الاتجاهات، وبخاصة الاتجاه الأفقي، ففي مفردة (قلم) عدة خيارات في طولها. وينبغي أن يكون رأس القلم مدببا طبعًا للتحرك في جميع الاتجاهات، حسب رغبة الكاتب... وما يوصى بتركه هو القلم المدبب الجاف. لأن هذا القلم في رأسه كويرة ملساء، تتحرك في كل الاتجاهات وبسرعة كبيرة تجعل المتعلم لا يتحكم في توجيه قلمه بحسب مقادير الخط العربي.

ومن هنا نقول على معلم الخط العربي أن يعد له عدته الفكرية والآلية، وعلى الآلية نركز، لأن بها يتحقق الشكل المطلوب، وهي شيآن الموضع والآلة، ونعني بالموضع المساحة المخصصة

للكتابة في أي جسم كان، من صفائح حديدية، أو قطع حجرية، أو ألواح خشبية أو قطع جلدية أو ورقية. وكل شكل يقتضي موضعا يتحقق فيه، وآلة تحققه. وحديثنا يتركز على قلم مداد ورقة. القلم والمداد مفردتان وردتا في القرآن الكريم، فجاء في سورة العلق (الذي علم بالقلم)¹⁸ وجاء في سورة... (ن والقلم وما يسطرون)¹⁹ بينما ورد ذكر المداد في موضع آخر قال فيه تعالى (لو كان البحر مدادا لكلمات ربي)²⁰ ومن هنا يجتمع في تراثنا آلة الكتابة العصرية بعنصرها القلم والمداد.

والحديد المتحدد في واقعنا هو الحفاظ على مفردة القلم، ولكن من نوع التجديد، يسمى القلم الجاف، وغياب المداد السائل وتعويضه بالجامد، وفي هذا تسهيل واقتصاد، ولكن فيه ضياع للأصالة والنوعية، لأن القلم الجاف في رأسه كويرة تتحرك في جميع الجهات، ومن هنا لا يستطيع المبتدئ أن يتحكم في القلم وتوجيهه، كما أن أثرها متساو في جميع الموقعايات، بينما الحرف العربي تختلف جزئياته من موضع لآخر، فالألف . مثلا . أعلاه أوسع من أسفله، فهو شبيه بمؤخرة الأفعى . وإشالة الطاء والظاء كذلك. وهذا لا يتحقق مع القلم الجاف، لاني رسم الحروف ولا في ضبطها

الضبط: الضبط والانضباط الكل يدل على الشدة والتحقق، والالتزام. وضبط الحرف حراسته من الانفلات والخروج عن خطه ومساره. وضوابط الحرف العربي نوعان، نقط ، ولواحق، ذكرناها في ما قام به الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وما أردناه من هذا أن ضوابط الحروف يتحكم في أحجامها وأشكالها الكاتب، فبعد أن يرسم الحرف يتفنن في ما يضيفه إليه كالنقطة والحركة والشدة وغيرها، فالنقطة تلحق بشكل الحرف في شكل هندسي، من مستطيل ومربع ومعين، وذلك بلمسة واحدة والقلم الجاف لا يقوم بذلك. ومن هنا، يوصى بأن يختار معلم الكتابة للكتابة وسائلها، التي تحقق لها هدفها؛ الذاتي والجمالي. بين الرسم والإملاء: تقوم عملية الكتابة بوظيفتين واحدة تقف عند صحة المكتوب، وأخرى عند جمال المكتوب. والمتعلم أول ما يطلب منه، هو كتابة الحرف كتابة صحيحة، على الشكل الذي أوردناه له، فحرف الألف شكل ممتد للأعلى، والباء شكل ممتد أفقي. وللطاء امتدادان. وهكذا. والمعلم يصحح شكل الحرف في كل امتداد. ولكن عند تشكيل الحروف وإدراجها في تراكيب يظهر عيبان، واحد يرجع إلى صحة الكتابة، في أشكالها أي أن الباء ليست ياء ولا ثاء. فهي حرف متمكن من خصائصه الذاتية أي لا يتداخل مع غيره.

في المقامات: التعليم في مجمل مفاهيمه هو مادة تلقى إلى كائن يتلقى، ولكل منهما معطيات ينطلق منها، وخلفيات يعود عند الحاجة إليها. والعودة تكون إلى المخزون المحفوظ غالباً، والمحفوظ مرسوم في الفكر أو الورق أو فيهما؛ وأساس ما يسعى كل من المتعلم والمتعلم إلى تحصيله واكتسابه من تعليمية اللغة هو القراءة والكتابة.

ومن المعلوم في التراث العربي، أن أول اتصال بين الأرض والسماء جاء أمراً بالقراءة والكتابة معاً. وذلك في قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك)²¹ وفي الآية الرابعة قال: (الذي علم بالقلم)²² فكان القلم وسيلة التعليم بنص الآية. والقلم وسيلة الكتابة. ومفهوم الكتابة المعجمي في التراث العربي غير دقيق، وأوضح ما فيها قولهم: (كتب الكتاب صور فيه اللفظ بحروف الهجاء)²³ وهو تعريف عام.

القلم: مفردة القلم توحى بالكتابة وقد أطلق كثير من المختصين مفردة قلم على الخط فقالوا (القلم الكوفي والديواني والفارسي)²⁴ كما تسمى هذه الأقلام خطوطاً والمشتغلون عليها خطاطون²⁵ ومن هنا، تداخلت مفاهيم الكتابة فكان الخط، والقلم؛ وكان الرسم والضبط²⁶ والغالب على الجميع كتابة. والكتابة نوعان منها ما يراعى فيه صحة الأداء ويسمى الإملاء، ومنها ما يراعى فيه جمال الأداء وهو الخط.

والخط العربي متنوع متعدد متفاوت الأحجام والأشكال، وفي جميع حالاته يعد فناً مطاوعاً لتحسيد الأفكار والتصورات فقد صنع منه الخطاطون لوحات فنية رائعة لمختلف الكائنات فكان منها الإنسان، والحيوان، والنبات، وغيرها. اختار منها بعض المختصين سبعة وهي: (الثلاثي، والنسخي، والفارسي، والريحاني، والرقعي، والديواني، والكوفي)²⁷

الخط العربي: لقد اهتم العرب بجمال الكتابة أكثر من اهتمامهم بصحتها. وكان للخط مقادير تراعى، وفيها قال ابن مقلة: (إن النسبة مقدرة في الفكر، وأساسها أن تكون الألف قطر دائرة، وأن الرء ربع الدائرة، في نسبة مقدرة في الفكر)²⁸ وقد وضع الخطاطون لكل حرف مقياساً، وكان أساس التقدير عندهم هو النقطة، فارتفاع الألف . مثلاً . ست نقط²⁹ وهو أشكال مختلفة، والمشهور منها أربعة وهي: الألف المطلقة، والحرفة، والمشعرة، والمجموعة³⁰ وللحروف الأفقية مقادير أيضاً.

هذه لمحة عابرة عن الكتابة العربية عبر الزمان والمكان والأعلام وبعض الأعمال، تبقى تفاصيل أوسع، تحتاج إلى وقت أوسع وحديث أول نرجئها إلى وقتها في ملتقى قابل بجول اللهن وعلى الجميع سلام الله.

- ¹ - سيويه الكتاب، ج،4، ص،431 و432، تج عبد السلام محمد هارون/مط، عالم الكتب، بيروت، ط، 1، 1966م
- ² - نفسه، ج،4، ص،432
- ³ - للتوسع في هذا ينظر، حمدي بخت عمران، الكتابة العربية، نشأتها وتطورها، ص، 29 وما بعدها. مط، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط،2009،1م. وينظر مصطفى حركات، الكتابة والقراءة وقضايا الخط العربي، ص،5 وما بعدها، مط، دار الآفاق، الجزائر. 1995م
- ⁴ - أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص،7، تج، عزة حسن، مط، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ط،1960،1م. وينظر، مكّي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيويه خلفيات وامتداد، ص،14، وينظر، شوقي ضيف، المدرس النحوية، ص،13، مط، دار المعارف بمصر، ط،1968،1م وينظر محمد بن إسحاق بن الندم، الفهرست، جن،1، ص،192، تج، مصطفى الشوملي، مط، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر والدار القومية لنشر تونس ط،1985،1م
- ⁵ - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج،1، ص،36. تج عيسى النجار،
- ⁶ - هناك رجل يسمى الخليل بن أحمد السجسي، ويختلط اسمه مع الفراهيدي، وأحيانا يقع الخلط في آثارهما، من ذلك كتاب، لرمضان عبد التواب اسمه ثلاثة كتب في الحروف نسب الأول للرازي، والثاني لابن السكيت والثالث للفراهيدي، والحقيقة أن هذا الكتاب هو للخليل بن أحمد السجسي نسبة عبد التواب للفراهيدي نتيجة تسرع في الإنجاز ونسخته الأصلية عند أستاذه المرحوم خليل إبراهيم العطية وهو الذي أخبرني بذلك.
- ⁷ - للتوسع في هذا يراجع، مكّي درار الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيويه خلفيات وامتداد، ص،25 وما بعدها مط، اتحاد الكتاب العرب دمشق، ط،1، 2007م.
- ⁸ - للتوسع في هذا يراجع كتابنا الحروف العربية ص،24.
- ⁹ - ينظر لويس معلوف المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ص،187، المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان، ط، 18، 1962م وينظر عفيف البهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ص،ف،مكتبة لبنان ناشرون، ط،1، 1995م.
- ¹⁰ - عفيف البهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ص،ر.
- ¹¹ - نفسه.
- ¹² - الآية.260. من سورة البقرة.
- ¹³ - نحن نرى عكس هذا تماما، ونعتقد أن الحركات هي الجواهر لأنها بمثابة أروح لأجسام، وسميها الحركات بدل الحركات، وقلنا الحرف جسم روحه الحركة، يراع كتابنا الجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية ص،107

-
- وما بعدها. ويراجع هندسة المستويات اللسانية من المصادر العربية، ص، 29 وما بعدها، مط، عالم الكتب الحديث الأردن ط، 1، 2012م
- 14 - الآية، 6 من سورة الواقعة.
- 15 - للتوسع في هذا ينظر ، مكّي درار، هندسة المستويات اللسانية من الآثار العربية، ص، 39.
- 16 - أبو عمرو، عثمان الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص، 137، تج، محمد حسن، محمد حسن إسماعيل. مط، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط، 1، 2004م.
- 17 - أبو عمرو عثمان الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص، 140.
- 18 - الآية. 04 من سورة العلق.
- 19 - الآية، 01 من سورة القلم.
- 20 - الآية.. 109. من سورة الكهف
- 21 - الآية الأولى من سورة العلق.
- 22 - الآية الرابعة من سورة العلق.
- 23 - لويس معلوف، المنجد في اللغة والأب والعلوم، ص، 671، ع، 3، س، 4، ط، 18، 1960. المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان.
- 24 - عفيف البهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ص، ز، مكتبة لبنان ناشرون، ط، 1، 1995م
- 25 - نفسه، ص، و.
- 26 - مفردة الرسم عند القدماء تعني في مجال الخط كتابة الحرف مجردا والضبط كل ما يضاف إلى الحرف مجرد .
- 27 - لويس معلوف، المنجد في اللغة والأب والعلوم، ص، 185.
- 28 - عفيف البهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ص. ش.
- 29 - نفسه، ص، 52.
- 30 - نفسه، ص، 2.